من أروع الشعر (١) :

أنجم السياسة

وقصائد أخرى

الأستاذ عبد الله كنون

كان من رأيي دائماً أن الذين أرخوا للأدب العربي فوقفوا به عند مشارف القرن الخامس ، قد ظلموا هذا الأدب وأوجدوا فيه فجوة كبيرة تمتد من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن الرابع عشر ، حين انبلاج فجر النهضة الحديثة ، أي مدى تسعة قرون كاملة ، يحكمون عليها بالعقم الأدبي وضحالة الفكر ويعدونها عصور انحطاط وتراجع خاصة في ميداني الشعر والنثر ، والشعر بالأخص .

ولعل مرجع ذلك إلى الكاتب الأول الذي خطط لتاريخ الأدب ، فرأى أن عهد ازدهاره وغلبته على ما سواه من الآداب المنتسبة إلى الأقوام غير العربية ، المتعايشة في ظل الدولة الإسلامية الكبرى ، هو العهد العباسي الأول ، فتبعه كل الذين كتبوا في الموضوع ، كما يحصل غالباً في مثل هذه الأعمال ، لا سيما والتأريخ الأدب العربي ، وتقسيمه إلى عصور ، فن محدث إنما ظهر أولاً في البرامج الدراسية الجديدة بحكم سد الحاجة إليه ، مقابل ما هو موجود فيها من مادة تاريخ الآداب الأجنبية .

والأمر إن يكن أخيذ بعامل السرعة وسوء التقدير ، فقد آن الأوان لمراجعة الموقف وتصحيح الغلط ، ووضع مسطرة سليمة لتقويم إنتاجنا الأدبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في العصور المحكوم عليها بالتخلف ، بعد إجراء مسح دقيق لهذا الإنتاج في كتب التراث من مجموعات أدبية ودواوين شعرية وغيرها ، التي ما تزال مخطوطة ، والتي طبعت في السنوات المتعاقبة بعد ظهور جل المؤلفات المتداولة في تاريخ الأدب العربي .

ولعلّ مثال المغرب العربي أعظم دليل على خطأ الفكرة التي بنيت عليها تواريخ أدبنا ، فإنه كان يهمل فيها إهمالاً كلياً ، وإذا ذُكر تسامحاً ، فأكثر ما يُذكَر ابن رشيق وكتابه العمدة ، وابن خلدون ومقدّمته ، إلى أن ظهرت كتبنا في تاريخ الأدب المغربي ، فصارت بعض كتب الأدب العربي الجديدة تلم بشيء من تاريخ المغرب وأدبه وشخصياته ، وهكذا يتبين للملاحظ الإجحاف الكبير الذي وقع للأدب العربي ، من جانب المخططين لتاريخه والمؤلفين فيه .

نعم إن العهد العباسي الأول كان قمة النهضة الفكرية العربية ، وعصر التّفتّح على فنون العلم والأدب والمعرفة ، وقد استقطب جميع العناصر والقوميات المتساكنة في الرقعة الفسيحة التي كانت تخضع لدولته ، فأغنتها لغته وأدبه عن لغاتها وآدابها المتنوعة ، وكانت أيامه زينة للدّهر ، وفترة زاهرة في تاريخ الإنسانية ، قلما عرف العالم لها نظيرا . وكل ما قيل فيه لا يوفيه حقه من التنويه والتقدير . وأما الأدب العربي في هذه الفترة ، فإنه فاق أدب الأمم السابقة واللاحقة ، قبل عصر النهضة الحديثة في الغرب ، والذين ينالون منه ويزرون به من الباحثين الأجانب ومن لف لفهم ، فانما يبعثهم على ذلك كراهيةٌ للعرب وحقد على دولتهم ، وشعوبية جديدة خلفت الشعوبية التي عرفها العرب في أوطانهم من بعض العناصر الموتورة والقوميات المنسحقة التي لم يبق لها وجود مع الانبعاث العربي العظيم .

وقد استقلت فارس بعد ذلك ، وأحيت لغتها وأدبها بالاستمداد من اللغة العربية وأدبها ، فاستحقت تنويه أولئك الباحثين وإكبارهم من حيث يعيبون الأدب العربي وينالون منه ، وما ذلك إلا تعصب على العرب واستخفاف بأمرهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإلا فأين يجيء الأدب الفارسي من الأدب العربي الغني الواسع المليّ ؟ وقد نقلت إلى العربية أخيراً بعض كنوزه التي طالما نوّه بها المستشرقون وعدّوها من الروائع العالمية ، مثل كتاب كلستان لسعدي ، فهل يقاس ولو بكتاب المستطرف للأبشيهي الذي ربما يوضع في آخر قائمة كتب الأدب العربي ؟

ولست أشنع أو أطعن في الأدب الفارسي ، وهو أدب إسلامي كبير ، وإنما أريد أن أؤكد أن التقليل من شأن الأدب العربي والتشكيك في قيمته ، حتى في أزهى عصوره ، خطة مرسومة للتزهيد فيه ، وصرف أبنائه عنه ، فما بالك بالعصور التي تلته ، لأننا وإن قلنا إن العصر العباسي الأول هو العصر الذهبي لأدبنا ، فليس معنى ذلك أن العصور الأخرى لا بد أن تكون عصور انحطاط لهذا الأدب وتراجع مستديم ، وأن ننظر إليه بهذه العين وندرسه على هذا الأساس ، كما أراد الموجهون والمخططون الأول ، سواء كانوا منا أو من غيرنا ، وسواء كان عملهم هذا صادراً عن قصد سيء أو تقدير خاطئ .

ومجال الكلام في هذا الباب واسع جداً ، ولم نعقد هذا البحث لتقصيه ولا للالمام به ولو في الجملة ، ولكنها خطرة فكر ، كان لا بد منها تمهيداً للموضوع الذي نحن بصدده ، وهو ممّا يمت إلى هذه القضية بسبيل ، بل إنه أحد الأمثلة الناطقة بصدقها فيما يقدمه من نماذج شعرية بديعة ، أهملها تاريخ الأدب العربي ، وفاتت الراصدين المدونين لفرائده ودرره .

إنها قصائد رائعة من الطراز الممتاز شكلاً ومضموناً ، لفظاً ومعنى ، فمن حيث الأداء توفرت فيها جميع شروط البلاغة مع العبارة الفصيحة والتصوير البارع ، ومن حيث المستوى اشتملت على أغراض أبكار قلما تناولها الشعر العربي قديمه وجديده ، على أن بعضها وإن تواطأت مع المروي من الأشعار في موضوعاته المعهودة ، فقد كان إلمامها به في أسلوب مشبع بالحيوية والتجديد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وناهيك أن من هذه القصائد ، ما يحمل اسماً علماً تتعارف به لدى الأدباء ، ويميزها عن غيرها من مختلف المنظومات والأشعار كهذه التي تسمى أنجم السياسة ، والتي عنونا بها هذا البحث .

قصيدة أنجم السياسة

هي قصيدة فريدة في موضوعها ، لا نعرف لها نظيراً فيما تناولته من مادة السياسة وتدبير الملك بأسلوب شعري جميل ، فإنما عهدنا أن يتطرق شعراؤنا لهذا الموضوع في البيت والبيتين ، أو المقطوعة الصغيرة تحتوي خاطرة من خواطر السياسة أو جزئية من جزئيات قواعد تدبير الملك كقول ابن زريق في عينيته المشهورة :

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته ... وكل من لا يسوس الملك ينزعه

وقول أبي الفتح البستي :

إذا غدا ملك باللهـــو مشتغلاً ... فاحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة ... لما غدا وهو برج اللهو واللعب

وقول الأفوه الأودي من قصيدة :

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم ... وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

لا يرشدون ولن يرعوا لمرشدهم ... فالغي منهم معا والجهل ميعـاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى إلا بأعمدة ... ولا عمـاد إذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أسباب وأعمـــدة ... به فقد بلغوا الأمر الذي كادوا

وقد يتعرض الشعراء لمعاني من هذا الباب في قصائد المدح ، حين يعدون مناقب ممدوحيهم من ملوك ورؤساء ، فيأتون على أشياء وأوصاف مما يستحسن من سياستهم وتدبيرهم كما في قول المتنبي يمدح سيف الدولة :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همه وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم

وقوله فيه عند إيقاعه ببني كلاب .

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب
وما جهلت أياديك البوادي ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مولّده دلال وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم فحل بغير جارمه العقاب

أما أن تتمحض القصيدة كلها لهذا الغرض ، وهي من الطوال الجياد ، فتبدىء فيه وتعيد ، ويتفنن صاحبها في أساليب القول ، من الخطاب إلى الغيبة ، ومن المدح إلى النصح ، ومن ضرب المثل إلى إبراز المعقول في صورة المحسوس ، مع الإلمام بمجمل قواعد تدبير الملك وأصول السياسة ، وتعليلها وبيان حكمتها ، والمحافظة على وحدة الموضوع بحيث لا تخرج عنه ولا تتخبط فيه ، بل تسير على النهج اللاحب والتخطيط الواضح ، فإنا لا نجد ذلك إلا في قصيدة أنجم السياسة هذه ، التي نقدمها لدارسي الأدب العربي ومؤرخيه ، وننفض عنها غبار الإهمال والنسيان ، وننشرها كاملة غير مقطعة ، منسوبة محققة ، لا كما نشرت من قبل ضمن إحدى المقامات الأدبية ، من دون تنويه بها ولا تنبيه على صاحبها كما يتبين مما يأتي .

من صاحبها ؟

الحسن والإحسان قد يكونان مصيبة على صاحبها ، ولذلك وقع لهذه القصيدة ما وقع لقصيدة الشهاب الاعزازي التي ادعاها فيما قيل سبعون شاعراً ، وهي النونية التي أولها :

صاح في العاشقين يا لكنانه رشأ في الجفون منه كنانه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقصيدة أنجم السياسة لم يدعها أحد ممن نسبت إليه ، فيما نظن ، ولكن الناس نسبوها ، حسبما اطلعنا عليه ، إلى ثلاثة أشخاص من أهل العلم والأدب .

(أولهم) صاحبها الحقيقي وهو الوزير أبو محمد ابن المالقي .

(وثانيهم) لسان الدين ابن الخطيب الشهير .

(وثالثهم) الرئيس أبو القاسم بن رضوان النجاري .

فأما لسان الدين فقد نسبها إليه شارحها محمد بن عبد الله الدمناتي بإشارة من ابن عمه الفقيه القاضي الأعدل أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الدمناتي القاضوي الذي ندبه إلى شرحها نجل السلاطين الكرام سليل سيد الأنام مولانا أبو عبد الله هشام ، كما ورد في طالعة الشرح وصفاً للاثنين .

ولا شك أن هذا الأمير هو ابن السلطان مولاي سليمان العلوي ، فالشارح إذن متأخر ، من أهل القرن الثالث عشر .

ويقع هذا الشرح في كراسة ونصف ، لأن القاضي المنتدب له ، الذي وكل المهمة إلى ابن عمه المذكور ، أشار عليه بأن يقتصر على بيان معنى البيت وإعرابه من غير استطراد لما يناسبه من آية أو حديث أو خَبَر أو غير ذلك ، ولعلَّها إشارة الأمير هشام نفسه الذي كان يهمه فهم ألفاظها وتصور معانيها فقط ، ولذلك قال هذا الشارح : « ولم أستطلع لها ديواناً من دواوين العرب ، ولا نشرت لأجلها مصنفاً من مصنفات الأدب » . الخ . وسمى شرحه بالمواهب الربانية في شرح قصيدة السياسة السلطانية .

ويظهر أنه لم يكن يعرف أن اسمها أنجم السياسة وإلا لكان سمى شرحه بما يوافق هذا الاسم .

كما أنه بدأ بالشرح من البيت الخامس عشر ، وترك الأبيات الأربعة عشر التي تتضمن مدح الملك المخاطب بها ، فإما أنه طرحها لعدم اهتمامه بمضمونها ، وإما أنه لم يطلع على هذه الأبيات لأنها تحذف من بعض نسخ القصيدة . وبالجملة فهو شرح مختصر جداً ، لا يزيد على تفسير الألفاظ اللغوية وتوضيح معاني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأبيات بعبارات مفهومة ، وهو إن كان له خطبة ومقدمة فقد انتهى بغير خاتمة ، وكذلك لا يعرف تاريخ كتابته لا تأليفاً ولا نسخاً ، وخطه مغربي جميل ، وأبيات القصيدة المشروحة فيه مكتوبة بمداد أحمر ، وهي في بعض أوراقه لم تكتب ، فبقي مكانها أبيض ، والمهم أنه نسب القصيدة للفقيه الأديب ، البارع الأريب ، الكيس اللبيب ، سيدي محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب ، على حد تعبيره ، وهذا هو الاسم الكامل لسان الدين ابن الخطيب .

والشرح الموصوف يوجد ضمن مجموع خطي لصديقنا الأستاذ البحاثة السيد محمد المنوني ، وقد أعارني إياه لما علم باهتمامي بهذه القصيدة ، فله الشكر الجزيل .

ونلاحظ (أولاً) أن هذه القصيدة لا توجد في ديوان لسان الدين المسمى بالصيب والجهام والماضي والكهام الذي جمعه بنفسه وأودعه مختار شعره . وهو ـ أو ما يوجد منه على الأصح ـ ما يزال مخطوطاً ، ولكن هذه القصيدة ليست من محتوياته .

(وثانياً) إن الذين ترجموا لابن الخطيب وعنوا بذكر آثاره المنثورة والمنظومة ، قديماً وحديثاً ، لم يشيروا إليها إطلاقاً ، وأكفاهم وأوسعهم إحاطة بهذا الغرض العلامة المقري صاحب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب» فإنه استوعب الكلام على التعريف بلسان الدين والتنويه بإنتاجه الرفيع نظماً ونثراً في مختلف المواضيع ، ولم يعرج على هذه القصيدة ولم يرد لها ذكر في كتابه الضخم ، وهي ليست مما يهمل أو ينسى لو كانت له وكان هو صاحبها ، فقد ذكر من غرر قصائده ومقطعاته وأبياته الكثير الطيب ، مشيداً بها غير قاض العجب من ملكة ابن الخطيب وشاعريته ، فهل من المعقول أن يتغافل عنها ، وهي القصيدة العصماء ، والدرة الفريدة إن وقعت له وثبت عنده أنها من نظم ابن الخطيب ..

(وثالثاً) إننا عند تحليل هذه القصيدة والنظر في أسلوبها ، نجد أن نفسها يختلف عن نفس ابن الخطيب ، ونظمها غير نظمه ، فقد امتازت بالسلاسة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والوضوح ، ونزعت منزع العلماء في ترتيب الأفكار وتفصيل الألفاظ على قد المعاني مع الاستشهاد ببعض الحقائق العلمية عند الاقتضاء ، في حين أن أسلوب ابن الخطيب الشعري يميل إلى الجزالة والقوة وينهج نهج الشعراء في التخييل والتمثيل ، وهو على العموم يحتاج إلى تأمل وبعد نظر في إدراك معانيه والإلمام بمغازيه » والقصيدة المعنية ليست كذلك .

* * *

ولم ينفرد الدمناتي بنسبة قصيدة أنجم السياسة إلى ابن الخطيب ، فقد أخبرني المؤرخ الكبير الأستاذ محمد عبد الله عنان أنه وقف على مقامة سياسية منسوبة إلى ابن الخطيب في المكتبة الوطنية بالجزائر ، ضمن مجموع خطي ، وأنه اشتبه فيها لأنها لا توجد بين تراث ابن الخطيب الذي نسبه إليه مترجموه ، ومن وصفه الذي وصفها به رجحت أنها المقامة المسماة بحضرة الارتياح المغنية عن الراح للقاضي ابن أبي حاتم العاملي المتوفى سنة ٨١٥ هـ ، وأخبرته أنها مطبوعة بتونس سنة ١٣٣١ ، ووجهتها له ليقارن بينها وبين المخطوطة المشار إليها ، فإذا هي هي كما أجابني بذلك بعد اطلاعه عليها .

والمقصود ، من هذا أن قصيدة أنجم السياسة ذكرت في آخر هذه المقامة ، على أنها مما أنشده بطلها للملك الذي أنشئت المقامة له ، مقتصراً على أربعة عشر بيتاً من أولها ، وهي التي يخاطب فيها صاحب القصيدة الحقيقي ، الملك الذي قدمت له . وبعد محاورة نثرية بين بطل المقامة وملكها ، توبع إنشاد القصيدة إلى النهاية .

فمن ورود هذه القصيدة في مقامة حضرة الارتياح ، مع نسبة هذه المقامة في بعض النسخ إلى ابن الخطيب ، توهم من توهم أنها له ، كشارحها الدمناتي ، لا سيما وهو يبتدئها بالبيت الخامس عشر الذي استؤنف إنشادها منه في المقامة من غير تفطن إلى أولها الذي اقتطع في ابتداء الإنشاد منها . وهكذا تدوولت عند بعضهم ، وتحت يدنا نسخة منها مستقلة ، غير نسخة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشرح ، إنما تبدأ بالبيت الخامس عشر ، لا يقال إنها لذلك تكون من نظم صاحب المقامة القاضي ابن أبي حاتم ، لأنا نقول عليه :

(أولاً) إن أحداً ممن نقلها أو شرحها لم ينسبها إليه ، وأكثر ما نسبها الناقلون لصاحبها الحقيقي أبي محمد عبد الله بن المالقي ، ونسبت لابن الخطيب في بعض النسخ ، وفي شرح الدمناتي كما مر آنفاً ، ونسبت لأبي القاسم بن رضوان في شرح مجهول المؤلف كما سنبينه قريباً . وأما ابن أبي حاتم صاحب المقامة ، وإن نقلت عنه فيما نظن ، فليس هنـاك من نسبها إليه ، وبيدنا ست نسخ لها غير النسختين المنسوبة إحداهما لابن الخطيب عند شارحها الدمناتي ، والأخرى لابن رضوان عند شارحها المجهول ، وليس في واحدة منها ذكر لابن أبي حاتم أو نسبة إليه ، مما يدل على أن من نقلها عنه ، عرف أنه إنما أنشدها إنشاداً ولم يكن هو الذي نظمها .

(ثانيـاً) إن أوصاف الملك الذي أنشأ له ابن أبي حاتم مقامته تُبايِنُ كل المباينة أوصاف الملك الذي نظمت له القصيدة ، فذاك عربي بين أعجام ، نشأ نشأة متصابية مستهترة ، ولما أفاق من سكرة شبابه ، التمس من يأنس به من أبناء جلدته ، فحضر لديه وفد من العرب ، هو الذي أُنشئت المقامة على لسان أفراده . والملك المخاطب بالقصيدة على خلاف هذا كله ، كما يفهم من الأبيات الأربعة عشر الأولى التي قيلت في خطـابه . فواضح إذن أن صاحبنا القاضي ابن أبي حاتم إنما أنشد هذه القصيدة في ختام مقامته ولم ينظمها .

أضف إلى ذلك أن المقامة كلها كتبت بطريقة الالتزام ، نثرها وشعرها ، فقد كان أفراد الوفد العربي الذي حضر لدى الملك المذكور على عدد حروف المعجم ، وكان كل فرد منه يخاطبه بنبذة من النثر المسجوع يذكر فيها اسمه ونسبه واسم جاريته مع ضرب مثل في شأن من شؤون السياسة وتدبير الملك . ملتزماً في ذلك كله الابتداء بالحرف الأول من اسمه ، ثم ينشد قطعة من الشعر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في التغزل بجاريته ، لا تتجاوز أربعة أبيات ، ولكنها تلتزم الحرف نفسه في أول كل بيت وآخره . وهكذا جاءت المقامة مثقلة بالصنعة البديعية من أولها إلى آخرها ، وليس فيها مما عري هذه الصنعة إلا القصيدة التي نحن بصددها وقطعة شعرية في أول المقامة هي ولا شك من نظم صاحبها ، وبيتان في آخرها معروفان اقترح على المؤلف تخميسها الخ . وهذا مما يدل على أن كاتب المقامة حين أورد القصيدة إنما كان منشداً لا ناظماً ، لمخالفتها لطريقته، وعدم شبهها بصنعته.

* * *

وإلى هذا فقد نسبت القصيدة إلى شخص ثالث هو الرئيس أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي صاحب القلم الأعلى في دولة بني مرين (١) على ما ألمعنا إليه سابقاً . والذي نسبها إليه صاحب شرح مجهول على هذه القصيدة ، يوجد بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (ك ٩٣٢) ولكن الموجود منه إنما هو شرح البيت الأول .

ومن العجيب أنه ذكر استقضاءه بجبل طارق وامتحانه بالسجن في فاس ، مدة طويلة ، قال : كما لمح لذلك بقوله في القصيدة : تفقد السجن .. البيتين . وفي السجن الف ـ كما يقول هذا الشارح ـ تأليفه في الاعتقال ، وذكر فيه مقامات أنشأها وهو بالسجن ، ومن جملتها مقامة حضرة الارتياح المغنية عن الراح ، وجعلها مقصدين : مدح السلطان ، وبسط الكلام على سياسة مملكته .

وفي مقدمة هذا الشرح كلام نفيس في مدح العلم والمعرفة وذكر السياسة وأصولها ، جاء في أثنائه قوله : ومن أجلّ لمعها البارقية ، السياسة المالقية ، فلقد أبدع فيها صاحبها ما شاء ، وميز في فوائدها بين الخبر والإنشاء ، إلا أنها لا زالت عروساً في خدرها ، بخاتم ربها من أبي عذرها . الخ .

ويظهر أن هذا الشارح اشتبه عليه أمر رئيس الكتاب ابن رضوان بالقاضي

(١) تنظر ترجمته في جذوة الاقتباس ، وقيل الابتهاج ، والتعريف بابن خلدون وغيرها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن أبي حاتم . فالمعروف أن هذا الأخير هو الذي استقضي بجبل طارق ، وامتحن بالسجن في فاس ، على حسب ما جاء في التعريف به على ظهر نسخة المقامة المطبوعة باهتمام العلامة الأديب السيد محمد بن قاسم البادسي الأنصاري الأندلسي الفاسي .. وإلا فإن صاحبنا ابن رضوان لم يُذكَر في ترجمته أنه ولي القضاء أصلاً بجبل طارق ولا بغيره (١) ، ولا ذُكِر أنه امتحن بالسجن في فاس ولا في غيرها ، فلعل الاشتباه الذي وقع له في ترجمته هو الذي جعله ينسب القصيدة إليه بحكم أنها واردة في المقامة التي هي من تأليف القاضي ابن أبي حاتم ، قاضي جبل طارق الممتحن بالسجن في فاس على ما ذكرنا ، خصوصاً مع نسبة ابن رضوان إلى مالقة ، والقصيدة كذلك منسوبة إليها .

وحيث تبين الخطأ في ترجمة ابن رضوان ، فإن الخطأ في نسبة هذه القصيدة إليه أبين ، من حيث إن أحداً لم ينسبها إليه ومن حيث شهرة نسبتها إلى غيره ، وهو ما نزيده توضيحاً فيما يلي :

فبعد استبعاد نسبتها إلى كل من ابن الخطيب وابن رضوان ، بقي معنا ابن المالقي ، وهو صاحبها الحقيقي في نظرنا :

(أولاً) لأن بيدنا ست نسخ خطية غير نسختي الشرحين المذكورين ، أربع منها تنسبها له ، وواحدة تنسبها لابن الخطيب وهي تبدأ من البيت الرابع عشر ، وقد أشرنا إلى الشبهة في ذلك ، عند ملاحظتنا على نسبتها لابن الخطيب . والنسخه السادسة غُفْلٌ من النسبة .. فأكثر النسخ إذن على أنها لابن المالقي .

نعم في نسختين من النسخ الأربع جاءت النسبة هكذا : للقاضي أبي عبدالله المالقي ، وفي النسختين الباقيتين لأبي عبد الله المالقي بدون وصف القاضي .

---

(١) نعم استنيب في القضاء بفاس مدة كما عند ابن الأبار في مستودع العلامة ولكن النيابة غير الولاية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصاحبنا ابن المالقي لم يل القضاء كما سيتبين من ترجمته الآتية ، وهو أبو محمد عبد الله ، لا أبو عبد الله ، ولا يبعد أن يكون وقع في اسمه تحريف أو تخفيف ، فصار أبو محمد أبا عبد الله ، لا سيما وهذه النسخ كلها لم تذكر من أين نقلتها ولا من نقلها حتى نعتمد نقلها في شيء من ذلك . غاية الأمر أنها كلها تنسبها لمن ذكر . فأما وصف القاضي في بعضها فلعله أتى من عدم التمييز بينه وبين بلديه ومعاصره وسميه عبد الله بن عبد الرحمن المالقي الذي ولي القضاء لعبد المؤمن الموحدي وولده يوسف .. هذا إن لم يكن هو نفسه ولي القضاء ولم نطلع على ذلك .

(ثانياً) إن وصفها بالسياسة المالقية كما مر في الشرح المجهول المؤلف ، وتسميتها بأنجم السياسة ، مما يرجح أنها لشخصية سياسية من أهل مالقة ، لا علمية أو قضائية فقط ، وليس عندنا من لعب دوراً سياسياً هاماً بصفته وزيراً وأكثر من وزير في دول المغرب ، وهو مالقي ، إلا صاحبنا أبو محمد ابن المالقي الذي نعتقد أن هذه القصيدة له ، فقد كان بالوصف الذي ذكرناه في دولة الموحدين أيام عبد المؤمن وولده يوسف . والمكانة التي كان يحظى بها لدى هذا الأخير تخوله أن يقول هذه القصيدة ويخاطب بها مخدومه الذي كان من أهل العلم والحكمة والسياسة ، وكانت من خاصة العلماء والأدباء والمثقفين .

(ثالثاً) قال المراكشي في المعجب ، وهو يتكلم على يوسف بن عبد المؤمن : « ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب ، ويبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر ، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من المغرب »[1] . وهذا ما يشير له البيت التاسع من القصيدة في خطاب الملك الذي قدمت له فيما نعتقد ، وهو يوسف بن عبد المؤمن . لأن في أيامه برزت شخصية ابن المالقي :

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ص ١٥٤ طبعة المغرب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جمعتنا من تفاريق البلاد فلم يفت لنا أمل إلا جمعناهُ

(رابعاً) جاء في ختام القصيدة لمحة وعظية مؤثرة تضمنت هذا البيت :

للأشعرية فينا مذهب عجَبٌ ومن سعادتنا أنا اعتقدناهُ

ولا يخفى ما في ذلك من الإشارة إلى ظهور مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري وانتشاره في المغرب على يد المهدي بن تومَرت مؤسس الدولة الموحدية ، وتقبُّل الناس له ولا سيما بطانة الخلفاء الموحدين ورجال دولتهم القائمين بدعوتهم وقد كان ابن المالقي من صدورهم وأعيانهم ناهيك أنه كان يلي لهم مشيخة الطلبة ، وهو منصب خطير يوازي منصب وزير الدعاية ووزير التربية في الدول ذات السياسة الموجَّهة والمذهب الخاص ، فليس من الأمور العفوية إذن ، ذِكرُ المذهب الأشعري في القصيدة والنص على أن اعتناقهم إياه من سعادتهم ، فإن في ذلك تلميحاً لما كان عليه المغرب من اتباع مذهب السَّلف قبل قيام دولة الموحدين ، وما جاء به ابن تومَرت من مخالفة لذلك حتى إنه كان يسمي المرابطين بالمجسمين ، وسمى أتباعه بالموحدين لأخذهم بمذهب الأشعرية المؤولين للمتشابه والنصوص الموهمة للتشبيه .

إن هذه الالتفاتة للمذهب والإشادة به ، مما يحل من صاحب الأمر محل الرضى والاستحسان ، وقد كان ابن المالقي يعرف ذلك ويشعر به تمام الشعور ، بل ربما أوحى به لغيره . يدلّنا على ذلك في الجملة ما جاء في كتاب المنّ بالإمامة لابن صاحب الصلاة ، وقد أنشد قصيدة للشاعر أبي محمد بن حربون في تهنئة يوسف بن عبد المؤمن بوقعةٍ على المخالفين بالمغرب ، فلما أنهاها قال : « قال الفقيه الخطيب أبو محمد المالقي رحمه الله : استحسن الأمر ـ أدامه الله ـ لأبي محمد هذه القصيدة حين صاغ فيها المذهب المراد ، وقصد فيها الاقتصاد ، وسبق أصحابه الشعراء القُصَّاد ، وتقرب للآمر العزيز ـ أدامه الله ـ بأغراضه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النبيلة فعلا ذكره وشاد . .[1] ولم يكن الغرض المذكور سوى أن يبتدئ الشعراء قصيدتهم بالحمد لله على طريقة الكتابة ، فكيف بمن يتعرض لمذهب الدولة الاعتقادي وينوه به ويذكر أن اعتقاده من السعادة ؟ .

(خامساً) ترجمة ابن المالقي التي تُظهر مؤهلاته الأدبية وقربه من الخليفتين عبد المؤمن ويوسف وتقديمها له ومهمته في البلاط الموحدي ، هي مما يؤكد أنه المراد عند نسبة قصيدة أنجم السياسة لابن المالقي أو أبي عبد الله المالقي على ما قدمنا من تخفيف اسمه أو تحريفه . . وها هي ذي باختصار كما وردت في التكملة لابن الأبار[2] .

« عبد الله بن محمد بن عيسى الأنصاري يعرف بابن المالقي أصله منها وسكن مراكش ، يكنى أبا محمد ، أخذ في صغره عن أبي الحكم بن برجان ، واختلف إليه بقريته من نظر طلياطة من شرف اشبيلية ، ولازمه وبرع في علمه ، وكان فقيهاً نظاراً خطيباً مفوهاً ، ذا حظ من الأدب وافر ، ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة ، ورأس طلبة حضرته مراكش ، وتوفي بها سنة ٥٧٤ . عن ابن عمر . وقال ابن صاحب الصلاة : توفي سنة ثلاث وسبعين وأثنى عليه كثيراً » .

وجاءت في البيان المغرب لابن عذاري بصورة أكثر تركيزاً على وظيفته الرسمية مع وصفه بالمالقي بدون ابن وهذا نصها : [3] (وفيها ـ يعني سنة ٥٧٤ ـ توفي أبو علي بن عزون والقاضي أبو القاسم بن فضيل ، وأبو عبد الله المالقي شيخ طلبة الحضرة بمراكش ، وكان من أهل العلم والدين والحفظ لحديث رسول الله ﷺ ، ولم يزل عند الخليفة أبي محمد عبد المؤمن في

(١) المنّ بالإمامة ، الجزء الثاني ص ٣٦٧ .
(٢) ج ٢ ص ٤٨٦ طبعة مدريد .
(٣) البيان المغرب ج ٤ ص ١١٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حظوة مكينة ، وكذلك عند الخليفة أبي يعقوب ، وكان يرفع له المسائل ، ويتناول توصيل الوسائل ، ويرفع أشعار الشعراء ، واخراج الجزاء ، وتقدم للخطابة والصلاة بأمير المؤمنين ، وإذا وصل كتاب فتح أو غيره قرأه إلى غير ذلك وكان له أدب غض وشعر في الزهد ومكفرات (الذنوب) ولم يزل في عز وتمكين إلى أن توفي رحمه الله) .

ومن الجدير بالذكر أن مشيخة الطلبة هذه ، مما أحدثه عبد المؤمن ، وهي مؤسسة تضم أهل العلم والحديث الذين هم ركائز الدولة ، وبلغت من عناية خلفائه بها وبرجالها ما أثار عليها حسد وجوه الموحدين وزعماء قبائلهم (١) ، فلا جرم أن يكون لرئيسها هذه المنزلة الكبيرة في الدولة .

ومن شاء فليتتبع نشاط رئيسها في البلاط الموحدي ، وما كان له فيه من الحركة الدائبة ، أيام الخليفتين عبد المؤمن ويوسف ، في كتاب المَنّ بالإمامة لابن صاحب الصلاة ، ويهمنا أن ننقل منه هذه الفقرة خاصة ، وهي المتعلقة بحوادث سنة ٥٦٠ ، وهي التي تقول (٢) : « وفيها اختص الأمير الأجلّ الأعدل بوزارته أبا العلاء إدريس بن جامع وقربه وأحبه وماشى معه الفقيه أبا محمد المالقي في المسائل » فهي تدل على أنه كان مستوزراً أو نائب الوزير الأول .

وعلى كل حال فهذه هي ترجمة صاحبنا ابن المالقي ومؤهلاته التي تجعل منه رجلاً كفؤاً جديراً بأن تنسب إليه قصيدة أنجم السياسة ، ويكون هو ناظمها وناسج بردها ، لا ينازعه في ذلك أحد ممن نُحلت له وحُملت عليه . إلا أن يظهر ما يخالف ذلك من نقل صحيح وعزْو ثابت وتوثيق راجح .

نسخها واسمها :

ما وقفت عليه من نسخ هذه القصيدة ثمان :

١ — نسخة مكتبتنا الكنونية ، وهي واقعة ضمن مخطوط يشتمل على

(١) انظر المعجب ص ١٧٢ .

(٢) المنّ بالإمامة ج ث ص ٢٨٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عدة مؤلفات ، وخطها مغربي واضح ومشكول شكلاً صحيحاً وتحمل هذا العنوان بعد الحمد لله : « هذه القصيدة تسمى أنجم السياسة للعلامة الأجل أبي عبد الله المالقي رحمه الله » . وتقع في خمس صفحات ، ويمكن أن تكون كتبت في القرن الماضي .

٢) نسخة منفردة مجلدة على حدة ، من محتويات الخزانة العامة بالرباط . وهي مكتوبة بخط جميل داخل جداول ملونة وفي أولها بعد البسملة والصلاة (ترجمة) كما يعبر النساخون عندنا أي زخرفة مكتوب داخلها (أنجم السياسة للقاضي أبي عبد الله المالقي) وتمتاز هذه النسخة بطرر وتعاليق مفيدة جداً ، ويمكن أن يستخرج منها شرح للقصيدة ، ويظهر أنها مما كتب في أوائل هذا القرن ، فهي حديثة جداً ، وتقع في إحدى عشرة صفحة لأن بين أبياتها بَياضاً كبيراً خصص لكتابة ما خفَّ من الشروح .

٣) نسخة تحمل عنوان أنجم السياسة للقاضي أبي عبد الله المالقي مكتوبة بخط مغربي جميل ، وتقع في سبع صفحات وهي حديثة كذلك من محتويات الخزانة العامة أيضاً .

٤) نسخة أخرى كتب بهامشها ما نصه : « وهذه القصيدة لعلها لأبي عبد الله المالقي تسمى بأنجم السياسة » وخطها لا بأس به ، وتقع في أربع صفحات ، وربما كانت مما نسخ في القرن الماضي ، وهي كذلك من محتويات الخزانة المذكورة .

٥) نسخة لا تحمل عنواناً ولا نسبة ، وخطها مغربي جميل ، تقع في خمس صفحات ، وربما رجعت إلى القرن الماضي ، وهي للخزانة العامة أيضاً .

٦) نسخة تلوح عليها أمارة القِدَم ، ولكنها لا تتجاوز القرن الماضي ، خطها لا بأس به . وتبتدئ من البيت الخامس عشر ، وتقع في أربع صفحات ، وبآخرها هذه الجملة : « انتهت القصيدة المجيبة ، في نصيحة المقدم السلطاني للإمام العلامة الأديب البارع لسان الدين بن الخطيب السَّلْماني رحمه الله تعالى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجدد عليه رحمته بمنه ويمنه ، وحوله وطوله . وهي بالخزانة العامة كذلك .

٧ و ٨) نسخة شرح الدمناتي ، ونسخة مقامة حضرة الارتياح وهذه مطبوعة . وسبق الكلام عليها .

ولعل القارئ قد لاحظ أن بعض هذه النسخ فيها تسمية القصيدة بأنجم السياسة وبعضها خال من التسمية ، كما أن الشرح المجهول الذي قدمنا الكلام عليه سماها السياسة المالقية ، ونشير هنا إلى أن اسم أنجم السياسة مأخوذ ولا شك من البيت الذي يقول فيه ناظمها :

هاذي (السياسة) لاحت بعض (أنجمها) ما كل نجم رصدناه قصدناه

* * *

وبعد فهذا هو النص الكامل لقصيدة أنجم السياسة ، مصححاً مقابلاً على جميع النسخ المذكورة ، ومعلقاً على بعض أبياته بما يبين المعنى ، ويعرب عن المقصود ، حين يكون التعليق لا بد منه .

١) يا أيها الملك الباهي مُحيَّاه أنت الذي تألفُ الأظعانُ مَغْناهُ

٢) أمَّا مَقامُك فهو الغوثُ إن قَصدتْ دارَ امرئٍ بحروب الضّيم دُنياهُ

٣) وجُود كفك جَود(١) فيه غُنيةُ من قد أجدبت من قِوام العيش يُمناهُ

٤) بِحسبك(٢) النصر من والاك أصبح قد والاهُ حباً ، ومن عاداك عاداهُ

٥) وما عسى تبلغُ الأقوال في ملك الجِدُّ ملَّكه والجَدُّ والاهُ(٣)

٦) اليمّ راحته والحلم راحته(٤) والأمن ساحته واليمن لقياهُ

٧) والمجد منصبُه والحمد مكسَبُه والسعد يصحَبُه والوفد يغشاهُ

---

(١) جود الأولى بالضم : الكرم ، والثانية بالفتح : المطر .

(٢) في جميع النسخ : فحسبك بالفاء وفي طُرّة إحداها : بحسبك بالباء نسخة وهي أنسب .

(٣) في جميع النسخ : ولاّه بالتشديد وما اخترناه هو ما في النسخة السادسة .

(٤) في النسخة الثانية : عادته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨) لو الأقاليم عمَّ الجورُ سبعتَها واستنجدته لجَلاَّه وأجْـلاهُ
٩) جمعتَنا من تفاريق البلاد فلم يفُت لنا أمل إلا جمَعناهُ
١٠) ونحن ضيف فمن نحلُلْ بساحته ينظُرْ إلى أيِّ وصفٍ قد أضفناهُ (١)
١١) وخلفَ كل فتى منا فِراخُ قطا ما حظَّهم منك إلا ما جلبْناهُ
١٢) ثغر ملكتَ بسيف العدل أقْرَبه هلا ملكتَ بسيبٍ (٢) الفضل أقصاهُ
١٣) إن الملوكَ على ما غاب غالِبَةٌ بالفضل تُوليه أو بالهوْل تَغشاهُ
١٤) وما على بلَد أن لا تحُلَّ بِه ومِن يديْك وفِيٌّ الفضل وافاهُ

* * *

١٥) مَنْ يقصد المكر بالسلطان ثم يرى أنَّ الصنائع تحميه تحَاماهُ
١٦) وكيف يخذُلُ عبدٌ عند نائبة مولىً كفَتْه همومَ العيش كفَّاهُ
١٧) يا سيداً أحضرْتنا دارَ مأدبة على موائدَ للإكرام دَعْواهُ
١٨) لا بد من شكْر ما أوليت من نِعم فالشكر فَرض ومن أبداه أدَّاهُ
١٩) والعبد يعجز عن شيء يوصله لشكر مولاه إلا نُصْح مَولاهُ
٢٠) لا يمنعنَّك عِلم قد سموتَ إلى أعلاه ، من أن تُرى صباً بأدناهُ
٢١) والنفس محجوبة عنها سعادتها فرب (٤) ما حقَرَتْه ليس إلاهُ
٢٢) ولؤلؤُ الحكمة المكنون في صدف خذ ما أتى منه واطْرح ما تغشَّاهُ
٢٣) لا تكرَهَنَّ شراباً حلَّ في خزَفٍ ليس الإناء ذاتُه ما أنت تُسقاهُ (٤)
٢٤) ما المُلك إلا عقيم لا وليَّ له مستهدف للأعادى مَن تولاَّهُ
٢٥) فاحفظ بعدْلٍ وفضل زَوْرَ طائِره فالفضل والعَدلُ إنْ تنظُر جَناحاهُ
٢٦) واجفُ الجفا وتَوقَّ الظلم أجمعه فليس يسعَدُ إلا من توقَّاهُ

(١) يعني وصف الكرم الذي لأجله يقصده الضيوف .
(٢) السيب بالياء : العطاء ، وفيه مع سيف جناس .
(٣) في بعض النسخ : لعلَّ ما حقرته وفي الرابعة : لعل ما أخطرته ليس إياه .
(٤) معناه خذ الحكمة ولا تنظر من أي وعاء خرجت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٧) ولا تذَرْ دعوة المظلوم سائبةً لا سيما إن يكن من لا له جاهُ[1]
٢٨) إذا تعمَّدتَ إنساناً بمَظْلمةٍ ولم يجِد ناصراً فالناصرُ اللهُ
٢٩) وارفعْ يدَ العامل العادي الذي كثرت به إليك الشكايا من رَعاياهُ
٣٠) لا قرَّب الله دارَ المرء يجعلُني أبيعُ من أجله ديني بدُنياهُ

* * *

٣١) وشاوِر العلماء المستضاءَ بهم فإن مَعذِرةَ السلطان شوراهُ
٣٢) وكلُّ أمرٍ له قومٌ به عُرفوا فاندُب لكل مهم أهلَ بَلْواهُ
٣٣) لا يعرف الشوقَ إلا من يُكابِده[2] جئنا به مثَلاً كنا سمعناهُ
٣٤) وفِّرْ جنودَك بالأرزاق تُوسِعها فالزرعُ يزكُو إذا وفَّرتَ سُقْياهُ
٣٥) وافعلْ بهم وادعاً ما أنت فاعِلُه[3] فأنتَ يوم اشتعال الحرب تُجزاهُ
٣٦) وارْعَ الرعيةَ في ضِيق وفي سَعة ورُدَّهم لطريق الرُّشد إنْ تَاهُوا
٣٧) ولا تُحمِّلْهمُ إصْراً ولا رَهقاً فإنهم في اضطراب الحال أشباهُ[4]

* * *

٣٨) وَلِّ الرسائل ذا عقل ومعرفة بالكُتْب إن كنتَ للأسرار ترضاهُ
٣٩) واخترْه بَرّاً سليمَ الصدر واسِعَه فالمالُ والروحُ في مضمون يُمناهُ
٤٠) وحاجِبُ الملك إن فكرتَ حاجِبُه[5] فانظُر لها كيِّساً طَلْقاً مُحيَّاهُ
٤١) إن قلتَ بابُك معنى فهو لفظتُهُ أو قلتَ بابُك لفظ فهو معناهُ

---

(١) هذا البيت ساقط من النسخة الأولى والثانية .
(٢) هذا صدر بيت سائر ، وعجزُه : ولا الصبابة إلا من يُعانيها .
(٣) أي في حالة الأمن
(٤) في النسخة الثانية أشياه بالياء وكتب عليها : جمع شياه الذي هو جمع شاة ، يعني أن الإيالة كالغنم والأمير راعيها فادا حمّلها ما لا تطيق ضيّعها وضاع هو بسبب ذلك .
(٥) أي هو له كحاجب العين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤٢) وَلِّ الجِبَايَةَ من قلَّت جنايتُه ... في ماله[1] وربَتْ في اليُسْر كفَّاهُ

٤٣) فطبعُه مانعٌ تبذيرَ حاصِلِها ... ومالُه راقعٌ تمزيقَ عُدوَاهُ

٤٤) أمِّرْ على الجيش من ترجُو كفايتَه ... ودَعْ سواه وإن ناجتْك قُرْباهُ

٤٥) فرايةُ النصر مكتوبٌ بِطرَّتِها ... بيتٌ على إثر هذا قد كتبنَاهُ

٤٦) ما للجَبانِ ومالي لستُ أعرفه[2] ... أما الشجاعُ فيهواني وأهـــواهُ

٤٧) اجعَل لنفسك جاسُوساً تُفيدُك ما ... يدورُ في الناس عيناهُ وأُذْناهُ

٤٨) واحذَرْه أن يجعل التعريفَ مَكْسَبَه ... وذا التحذُّر بالإغْناءِ تُكْفَـاهُ[3]

٤٩) لا تسخَرَنَّ بأمْرٍ هانَ أولُه ... إن الحريق بقَدح الزَّند مَبْداهُ

٥٠) استعمِل الماجدَ المرهوب جانبُه ... وحُطَّ بالعمل الملحوظِ عَلْيَاهُ

٥١) فالطِّرفُ إن تخلُ من قيْدٍ قوائمُه ... أزرى بسائسِه عَدْواً فأعيـاهُ

٥٢) علِّق بعفوك من يَجني عليك كما ... تعلقتْ بِطبيب الوقت مَرْضَـاهُ

٥٣) فالضربُ[4] للعبد أدنى ما يليقُ به ... والعفوُ للحر أعلى ما توخَّـاهُ

٥٤) لا تسفِكنَّ دماً إلاَّ بواجبِه ... فمن أراقَ دم العُدوان أرْداهُ

٥٥) ولابنِ عبَّاس الحَبْرِ الذي شُهِرت ... علُومُه مذهبٌ فيه عرفنَاهُ[5]

٥٦) إنْ أظْلَمَ الخطبُ واعتاصت جَلِيَّتُه ... وأشكلت من طريق العلم فُتْياهُ

٥٧) سلِّم أُمُورك للرحمن محتسِباً ... وارْضَ القضاء فمن يرضاه أرضَاهُ

---

(١) اي ملياً غير مسرف في ماله .

(٢) في بعض النسخ : لست نبته .

(٣) يريد : اغن المخبر لئلا يجعل وظيفته وسيلة للكسب .

(٤) في أكثر النسخ : فالذنب للعبد ، ونسخة الضرب أولى لأنها تتضمن معنى ما تكرر في الشعر العربي مثل : الحر يُلحى والعصى للعبْد ...

(٥) مذهب ابن عباس في قاتل النفس أنه لا تقبل له توبة أخذاً من الآية (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) الآية ، ولكن الجمهور على خلافه ، وحمْل الآية على المبالغة في الزجر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥٨) واصبِر فما شدةٌ إلا لها فرَج ... وراكِبُ الصبر لا تكبُو مَطاياهُ

٥٩) ارْدَعْ بعدلك من طمَّت بوائقُه ... وارفُق بمن ندَرتْ منه خطَاياهُ

٦٠) وادْرأ عُقوبةَ من قد ظل مُستتِراً ... كما إذا أحدثَ السِّنَّورُ غطَّاهُ

٦١) لا تأمنَنَّ من الموتُور بائقةً ... فما نسَاءُ مدى الأيام أنساهُ[1]

٦٢) وأعطِ نفسك حظّاً من إراحتها ... فالنفسُ يُوحِشها كدٌّ وإكراهُ

* * *

٦٣) وإن مما لك شوق في مُخدَّرةٍ ... أو شادنٍ كُحِلتْ بالسِّحر عيناهُ

٦٤) فاكتُم هواه ولا تُظهِر محبَّته ... فالحب ذُلٌّ وعِزُّ الملك يأباهُ

٦٥) إن السِّعايةَ عارٌ فاجفُ صاحبَها ... وفِرَّ منه فإن الله أخزاهُ

٦٦) وزارعُ الخير من يُحبِيْه شاركَه ... وزارعُ الشر من يُحبِيْه ساواهُ

٦٧) واذكُر يتيماً ومسكيناً وأرملة ... فمن تذكَّرتَه فالضرُّ ينساهُ[2]

٦٨) وامدُدْ يدَ البِرِّ والرُّحمى لِذِي كِبَرٍ ... دنَت خُطاه لدهر قد تخطَّاهُ

٦٩) تفقَّدِ السجن فهْو القبر ميِّتُه ... حيٌّ وأحياؤه أمثال موْتاهُ

٧٠) ما كلُّ معتقَلٍ بالعدل مُعتقَلٌ ... كم ساجِنٍ غيرَه والسجنُ واتاهُ

٧١) لا تُنكِرِ الظلم ممن دام في عمل ... فإن طُول مَداه فيه أطغَاهُ

٧٢) واعزِل على الفور من أسخطتَ حالتَه ... ومُهمِلاً وَلِّ تُرضيه وترضاهُ

* * *

٧٣) خزانةُ الكُتْب أكثرْ من ذخائرها ... فإن أُبَّهةَ السلطان ذُخراهُ[3]

٧٤) واجلُبْ إليها دواوينَ العلوم وما ... يُعَدُّ من أغرب التصنيف مَنْحاهُ

---

(١) الموتور صاحب الثأر ، والنساء بالفتح التأخير ، أي إن طول المدة لا تنسيه ثأره .

(٢) المراد : من تذكرته بالإحسان والمواساة .

(٣) كانت عناية الموحدين بجمع الكتب عظيمة وكان لخزانة الكتب عندهم ولاية خاصة لا تسند إلا لكبار العلماء ، وانظر ما فعله يوسف بن عبد المؤمن بهذا الصدد في كتاب المعجب ص ١٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٧٥) الخطُّ والضبطُ منها روضةٌ أُنُفٌ ... مما رواه أخو حِذْق ورَوَّاهُ

٧٦) فالعلمُ إن لم يكن في الصدر أجمعُه ... ففي القراطيسِ كُبراه وصُغراهُ

٧٧) وكلُّ ما جمعْت كفاك من نشَب ... أو صامتٍ ولو أنَّ الرملَ حاكاهُ

٧٨) بَدَّدهُ في بدد(١) الأعداء عنك وقُل ... ليومِ سُوءٍ رفعنا ما جمَعناهُ

٧٩) هاذي السياسةُ لاحت بعضُ أنجُمِها ... ما كل نجْم رصدناه قصدناهُ

٨٠) نسيمُ علم تمشَّى في رُبى أدبٍ ... لو كلُّ وصف وصفناه عَصفناهُ

٨١) شكراً ونصحاً نفضنا منهما جُرُباً (٢) ... وبعضُ ما قد نفضناهُ رفضْناهُ

٨٢) تِلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبنٍ (٣) ... عقلٌ تُؤَدِّيه أفلامٌ وأفواهُ

٨٣) اليومَ قولٌ وفعلٌ والجزاءُ غداً ... ويْلاهُ مَن لم يفكِّرْ فيه ويْلاهُ

٨٤) كأنَّ ما نحنُ فيه لم يكن أبداً ... وما نصير إليه ما فَقَدْناهُ

٨٥) تمرُّ أعمارنا مرَّ السحاب ولا ... وقتٌ لنا بِسوى الدنيا عمَرْناهُ

٨٦) تجاذبٌ للأماني ما له طرَفٌ ... كأنما سالمتْ عبداً مَنايَاهُ

٨٧) نبكِي على نزْر دنيا إذ يفُوت ولو ... قد فاتَنا الدينُ رأساً ما بكيناهُ

٨٨) نُمسي ونُصبح من أمرين في غَرر ... ذنْب رضِيناه أو حظّ سخِطْناهُ

٨٩) إذا عمِلنا بأعمال الهوى ثبتَتْ ... وإنْ عددنا له توْباً (٤) محوْناهُ

٩٠) ولا نُصيخُ إلى ما قال واعِظُنا ... وإن شَدانا مُغَنِّينَا سمِعْناهُ

٩١) الدهرُ بالمرء من أُخراه مرتحل ... يا حَسْرتاهُ ولا زادٌ لأُخراهُ

٩٢) لا عيشُه ها هنا تصفو مَوارِدُه ... ولا هناك من الأكدار صفَّاهُ

٩٣) فكم نُغالِط بالحُسنى نُلِمُّ بها ... جهْراً وأبعدُ نَعْتِ السر حُسناهُ

---

(١) أي في تفريقهم .

(٢) جمع جراب .

(٣) هذا صدر بيت مشهور لأبي الصلت الثقفي وعَجُزه : شِيبا بماء فعادَا بعدُ أبوالا

(٤) التوب : التوبة : قال تعالى (غافر الذنب قابل التوب) وجاءت في أكثر النسخ بالثاء المثلثة خطأ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٩٤) تُخفِي القبيح وقد أزرى بحِشْمتنا والمرءُ يُزْري مسَمَّاه بِسِيمَاهُ

٩٥) واللهِ واللهِ لولا آيةٌ منعَتْ من القَنوط (١) لما كُنَّا رجوْناهُ

٩٦) وما الذِي يرتجِي من يستعين على أغراضِ أعداءِ مولاه بِنُعْماهُ

٩٧) لِلأشعريةِ فينا مذهبٌ عجَبٌ (٢) ومِن سعادتنا أنَّا اعتقدناهُ

٩٨) لو كان حتْماً من الله الوعيدُ لنا لم يَسبِقِ الغضبَ المكتوبَ رُحماهُ

عبد الله كنون

(١) يشير إلى قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) .

(٢) مذهب الأشعرية وأهل السنة على العموم أن الله عز وجل لا يجب عليه إثابة المطيع ولا عقوبة العاصي وإن حكم بذلك . نعم هو تعالى لا يخلف وعده في إثابة المطيع وأما العاصي فهو في مشيئته تعالى إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه ، كما قال سبحانه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وهذا ما يعنيه الشاعر وقد احتج له في البيت الأخير بمضمون الحديث الصحيح « إن رحمتي سبقت غضبي » ويخالف المعتزلة في ذلك أهل السنة فيقولون بوجوب إثابة المطيع وعقوبة العاصي ، وهو قول مردود لأن الله لا مُكْرِهَ له ، والوجوب في المسألة عَرَضِيّ لا ذَاتِيّ ، أي ليس عقلياً حتى يقال إنه لا يخلف . وقد قال الشاعر :

وإني إذا أوعدته أو وعدته لَمُخْلِف إيعادي ومنجز موعدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net